مرويات هيرودوت عن المجتمع المصري القديم

ا.د.فاضل كاظم حنون
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
fhannoon@uo.wasit.edu.iq
م.م.رسل ماجد عبد
ru2022sulma@gmail.com

الملخص:

تحاول هذه الدراسة إخضاع بعض روايات هيرودوت التي خص بها الحضارة المصرية القديمة وخاصة المجتمع المصري القديم، الى النقد العلمي التاريخي، والذي ادعى هيرودوت نفسه بانه قد طبق هذا الاسلوب على ما سمعه من معلومات تاريخية قبل تدوينها في رواياته ، إذ ان الكثير من المؤرخين والنقاد نظروا في كتابات هيرودوت ،وخاصة ما كتبة او رواه عن مصر، يجمعون على الشك فيما روئ ويختلفون في طريقة نقده والحكم على الاخطاء التي وردت فيه، وهذا النقد والتشكيك في روايات واخطاء هيرودوت ارجعه البعض الى اسباب ودوافع ، فقسما من المؤرخين اوجد العذر لهيرودوت وأوجد له اسباب ادت الى تلك الاخطاء في كتاباته ، اما القسم الاخر من هؤلاء النقاد والمؤرخين فرى فيها دوافع تقف وراء تلك الاخطاء ، وسنحاول في هذه الدراسة بيان كل ذلك عن طريق اسلوب تحليلي نقدي .

الكلمات المفتاحية : **(المجتمع المصري القديم، روايات هيرودوت، أخطاء هيرودوت).**

Herodotus' narratives about Ancient Egyptian Society

Prof.D.Fadhil K. Hanoun
fhannoon@uo.wasit.edu.iq
Russll Majid Abd
ru2022sulma@gmail.com

***Abstract*:.**

This study attempts to subject the narratives of Herodotus, in which he singled out the ancient Egyptian civilization, especially the ancient Egyptian society, to historical scientific criticism, which Herodotus himself claimed that he had applied this method to what he heard of

historical information before writing it down in his narratives, as many historians and critics considered The writings of Herodotus, especially what he wrote or narrated about Egypt, are unanimous in doubting what was narrated, and they differ in the way of criticizing him and judging the errors that were contained in it. To those mistakes in his writings, while the other part of these critics and historians saw motives behind those mistakes, and we will try in this study to explain all of that through a critical analytical method.

Keywords: Ancient Egyptian society, Herodotus Narratives, Herodotus Errors

المقدمة .

هل يقبل التاريخ التزييف ؟ الاجابة هي نعم مع الاسف . يقبل التاريخ التزييف بشكل كبير ، بل يقبل جميع انواع التزييف ، وليس الاشكال المطروحة فحسب ، بل يعتبر التاريخ اكبر مستقبل لجميع الابتكارات التحريفية الممكنة ، وذلك لأنه لحد الان لا يوجد معيار حقيقي للحكم على التاريخ ، مهما تقدمت الوسائل المعرفية ، ومهما نمى البحث العلمي الجاد ، فكل واقعة تاريخية يمكن تفسيرها وفقا لوجهات نظر مختلفة ، ويمكن ارجاع اسبابها الى العديد من العوامل المختلفة التي تتباين من شخص الى اخر ومن بلد الى اخر ، هذه هي القاعدة العامة ، وهذه هي النتيجة التي وصل اليها العالم بعد الاف السنين من التدوين التاريخي .

ولد هيرودوت في عام (٤٨٤ ق.م) وتوفي عام (٤٢٥ق.م) في مدينة كانت تسمى (هاليكارناسوس) ، تقع حاليا في تركيا وتعرف بـ(كاريا) ، وكانت فيما مضى جزءا من بلاد اليونان فيما يعرف بالجزر الايونية ، زار هيرودوت مصر حوالي عام (٤٦٠ق.م) ضمن عديد البلاد الاخرى التي زارها ، منها في بلاد اسيا الصغرى وبلاد الرافدين ، ثم اكمل رحلاته الى فلسطين وغزة وانتهى به المطا في مصر .

أهمية البحث.

ان آفة الكذب والتدليس لم تكن وليدة اليوم ولم يعاني منها المجتمع الان فحسب ، بل ترجع في عمقها التاريخي الى عصور قديمة ، ربما الى قدم التاريخ ذاته ، فمن يدعى اليوم بين اوساط المؤرخين بـ(ابو التاريخ) او (هيرودوت) ، يعد من اكبر المحرفين أو المدلسين في التاريخ ، فالعديد من النقاد ودارسي الآثار والباحثين في التاريخ خاصة المهتمين بالفترة اليونانية

والرومانية اكدوا ان (هيرودوت) ذكر الكثير من الاحداث التاريخية التي يجب علينا التعامل معها بحذر وتدقيق كبيرين ، فقد اعتمد هيرودوت فيها على بعض المبالغات التي تصل الى حد الفانتازيا التاريخية ، فضلا عن انحيازه الواضح الى اليونانيين على حساب الشعوب الاخرى .

مشكلة البحث

ان تراث هيرودوت ، قد ظَّل دهرا موضع جدل كبير، شغل النقاد من القدماء والمحدثين ، فتجادلوا في الغرض منه وتساءلوا ، أأراد به صاحبه ان يكون مدونة لتاريخ من عرف من شعوب الدنيا ، أم قصد به ان يكون سجلا لبعض الحوادث والاوصاف العامة التي رأى انها ترضي حاجة المشغوفين من قومه بالمعرفة ، ثم ان المؤرخين والنقاد نظروا في كتاب هيرودوت هذا ويختلفون في طريقة نقده والحكم على الاخطاء التي وردت فيه ويجمعون على الشك فيما روئ ، وهذا النقد والتشكيك في روايات واخطاء هيرودوت ارجعه البعض الى اسباب ودوافع ، فقسما من المؤرخين اوجد العذر لهيرودوت وأوجد له اسباب ادت الى تلك الاخطاء في كتاباته ، اما القسم الاخر من هؤلاء النقاد والمؤرخين فرى فيها دوافع تقف وراء تلك الاخطاء ، وسنحاول في هذه الدراسة بيان كل ذلك عن طريق اسلوب تحليلي نقدي .

فرضية البحث

قسم الباحثين في مكتبة الاسكندرية قديما كتابات هيرودوت الى تسعة كتب، وأطلق على كل كتاب منها اسم احد الالهة من الهة الفنون التسعة، خصص الكتاب الثاني وجزئا من الكتاب الثالث عن مصر، وسمي باسم (يوتيرب) آلهة الموسيقى. وتتمحور فرضية هذه الدراسة التي سنتناول فيها كتاب هيرودوت الثاني، حول ايضاح ونقد الاخطاء التي اوردها هيرودوت في هذا الكتاب ، ثم بيان ان بعضها لم يكن معلومات تاريخية، بل عبارة عن اساطير وخرافات اغريقية حاول هيرودوت حشوها في الحضارة المصرية ، واخيرا نحاول الوقوف على اهم الاسباب والدوافع التي ادت به الى انتهاج هذا الاسلوب.

منهج البحث .

نظرا لطبيعة مادة الدراسة فقد استخدمنا المنهج الاستقرائي والتحليلي، لاستقراء وتفكيك النصوص التي وردت في كتاب هيرودوت، ثم تحليها ومطابقتها مع المعلومات التاريخية المتوافرة عن الحضارة المصرية القديمة ، من اجل بيان مواضع الخطأ والصواب في روايات هيرودوت.

خطة البحث.

قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين ، تناولنا في المبحث الاول والذي حمل عنوان المجتمع المصري القديم في روايات هيرودوت، ما ورد في فقرات كتاب هيرودوت من روايات بخصوص المجتمع المصري القديم، اولا: وصفه الحياة الاجتماعية للمصريين القدماء وجغرافية مصر ، ثانيا: تناوله لتاريخ ملوك مصر وبعض عادات الملوك واسرهم ، اما المبحث الثاني والذي وسماه بأخطاء روايات هيرودوت عن مصر الاسباب والدوافع، فبينا فيه اولا: اهم الاسباب التي اوقعت هيرودوت في تلك الاخطاء ، وثانيا: الدوافع التي تقف وراء تعمده اخراج كتابه بتلك الصورة والغاية ورائها، كذلك اشتمل البحث على خاتمة بينا فيها الاستنتاجات التي توصلنا اليها في هذه الدراسة .

المبحث الأول

المجتمع المصري القديم في روايات هيرودوت.

أولا : وصفه الحياة الاجتماعية للمصريين القدماء وجغرافية مصر.

يتكون كتاب هيرودوت الثاني (يوتيرب) من (١٨٢) فقرة (الدويب،٢٠٠٣،ص٧) ، تبدأ أساطير هيرودوت في الفقرة الثانية ، اذ يحاول فيها دحض المقولة السائدة آنذاك من إن المجتمع المصري هم اقدم البشر وفقا للفكر الديني المصري القديم، ويحاول تفضيل (الفريجيين)* عليهم ، فيورد قصة الطفلين الذين رباهما بسماتيك* في تجربته ليرى اي الشعوب اعرق في الوجود ، ويكاد الناظر الى هذه القصة يرى من خلال اطيافاً من الشك الذي يقفز فيشط بها الى مواطن الخيال ، اذ ليس من السهل ان نتصور ان آل فرعون الذين افنوا من عمر الزمان دهورا يفاخرون امم الارض بمجدهم وعراقة اصلهم وقدسية لسانهم، ثم يرون انهم ارتفعوا بكل اولئك من عوالم الارض الى أجواز السماء ، يلجأون إلى مثل هذه التجربة الا ان تكون عقولهم قد شاخت وخرفت (خفاجة،١٩٤٦،ص٢٣). ومن الواضح ان هيرودوت في سعيه لتمجيد ابناء جلدته الاغريق ابتدع هذه القصة الساذجة .

وفي الفقرة الخامسة يطلق هيرودوت مقولته الشهيرة أو التي نسبها الى نفسه (انها هبة من النيل)(الدويب،٢٠٠٣،ص١٢)، اي مصر هبة النيل . ولكن هذه الجملة ترجع في حقيقة الامر الى المؤرخ الجغرافي والرحالة الاغريقي (هيكاتيه الملطي) أو (هيكاتيوس) والذي عاش في الفترة (٥٨٠–٥١٩ ق.م) ، اي انه سبق هيرودوت بفترة طويلة ، والذي زار مصر وعاش فيها ثلاث سنوات متنقلا بين معابدها ومعالمها الجغرافية والعمرانية (كريم،١٩٩٦،ص٩).

وفي الفقرات (١٩–٣١) حاول هيردوت إن يتوصل إلى منبع نهر النيل وعلى الرغم من انه توغل جنوبا بحثا عن منبعه ذاكرا بعض المدن والاحداث ومنها التقاءه برجال مدينة كيريني (قوريني) وإنهم اخبروه بمنبع نهر النيل (الفقرة ٣٢–٣٤)، والواقع ان هيرودوت اخطأ هنا مرة اخرى فالنهر الذي يجري من الغرب الى الشرق والذي قدّره هيرودوت انه النيل ، هو في الواقع نهر (النيجر) وهو ليس له علاقة بنهر النيل (الدويب،٢٠٠٣،ص٢٣) ، وهنا نرى هيرودوت يتخبط فهو يقرن بين مجرى النيل في افريقيا ومجرى (الطونه) في غرب أوربا (خفاجة،١٩٤٦،ص١١٣).

وفي الفقرة (٣٥) يقول هيرودوت " فالنساء عندهم يرتدّن الاسواق ويمارسن التجارة . اما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون) (ايفانز،٢٠٠٠،ص٢٠)، الواقع ان صور الجواري اللاّتي يحملن على رؤوسهن ويرتدّن الاسواق قد كثرت على بعض اثار المصريين، وان كنا لا نوافق هيرودوت على ما رأى من ان النساء وحدهن كن يفعلن ذلك ، والغالب ان حب المبالغة في الوصف هو الذي دفع هيرودوت الى سرد هذا الرأي من دون تحفظ (كامل،١٩٦٦،ص٩٧)، اما عن قوله ان الرجال يبقون في البيوت وينسجون ، فالرسوم التي تركها الفراعنة مصّورة نواحي حياتهم المختلفة تشير الى ان صناعة النسيج قد كان يمارسها النساء اول الأمر وفي الاغلب الاعم(خفاجة،١٩٤٦،ص١١٨).

وفي الفقرة (٣٧) يقول هيرودوت ان المصريين لا يزرعون الفول وإذا نبت لا يأكلونه ، وبالطبع هذه الرواية مغلوطة لان بمقابر الدولة القديمة اكتشفوا فول (بني) استخدمه المصري القديم لتحضير الطعام او ليكون غذاء للروح او للقرابين او يكون مع المومياوات في الحياة الابدية (حميد،٢٠٠٩،ص٢٣).

إما قوله إن النساء المصريات يبُلْن واقفات ، فتلك مسألة نرى من الخير الا نعلق عليها ، ذلك لان التعليق عليها قد يوُهم القراء اننا نضعها موضع الجد (مونتيه،١٩٩٧،ص٦٥).

لم تكن الكهانة محرَمة على النساء كما يقول هيرودوت ، بل كان النساء منذ ايام الدولة الحديثة ، وربما قبل ذلك ايضاً، في خدمة المعبودات وبخاصة (حتحور) و (نوت) (شورتر،١٩٩٧،ص٩٧)، اما قوله ان المصريين يعجنون العجين بأقدامهم ، فهذه المعلومة ليس لها اساس من الصحة ، وهذا يرجع الى ان المتحف المصري توجد به تماثيل تعجن العجين بأيديها في (المجور) وهو إناء ذات شهرة واسعة في الصعيد المصري (بدوي،١٩٥٠،ص٥٨).

ونرى هيرودوت يدعي الحرج والتقوى عندما يتحدث عن طقوس سامو ثراقيا* السرية بينما لا يتحرج ولا يتورع حين يقول في الفقرة ٣٥ ان نساء مصر يبلن واقفات ، او حين يزعم في الفقرة ٤٦ ان تيسا قد اجتمع بامرأة في العلانية (خفاجة،١٩٤٦،ص١٥٤).

وفي الفقرة ٥٣ يقرر هيرودوت إن هوميروس وهسيودوس عاشا معا في وقت واحد، ولكن المعلوم ان هوميروس عاش في اواخر القرن التاسع (٨٣٠ق.م ؟) ، بينما ذاع صيت هيسيودوس في منتصف القرن الثامن اي حوالي ٧٥٠ ق.م (خفاجة،١٩٤٦،ص١٥٥) .

وفي الفقرة ٦٥ يذكر هيرودوت ان ارض مصر كلها خالية من الوحوش والكواسر، بينما صحراء ليبيا والصحراء العربية ملئا بأنواع الوحوش والاسود ، كما يذكر الحمار ذو القرن وذلك حيوان لم تعرفه حتى الاساطير المصرية ، ويذكر كذلك الدببة والفيلة وهي حيوانات لم تعرفها صحراء مصر لا في الشرق ولا في الغرب (بدوي،١٩٤٦،ص٥٠).

في الفقرة ٧٥ يأتينا هيرودوت بحيوان غريب ذلك هو (الحيات ذات الاجنحة) ووصفها في الفقرة ٧٦ بانها تشبه حيات الماء ، وان اجنحتها بغير ريش ، وانها تشبه الى حد ما الخفافيش ، ويقول هيرودوت انه رأى كميات تفوق الوصف من عظام الحيات واعمدتها الفقرية الكبيرة ، ومن المعلوم ان الحيات لا يوجد في جسمها عمود فقري (خفاجة،١٤٦،ص١٧٨).

وفي الفقرة (٨٩) يقول هيرودوت ان زوجات العظماء والنسَاء الفائقات الحسن ، لا يسلمن مباشرة بعد موتهن للتحنيط الا بعد مرور ثلاثة او اربعة ايام على موتهن ، وذلك حتى لا يجامع المحنطون اولئك النسوة ، لا نعرف مطلقا ان المصريين القدماء قد انحرفوا الى هذا الحد الذي انحطوا عنده الى نكاح الموتى (خفاجة،١٩٤٦،ص١٩٨).

قسم المجتمع المصري القديم منذ عهد الدولة القديمة الى طبقتين بينهما فرق واضح، الطبقة العليا الحاكمة ويرأسها الفرعون واسرته ، وحاشيته ، وكبار موظفي الدولة، وامراء الاقاليم ،

وكبار الكهنة، ثم الطبقة الدنيا العاملة وقوامها القلاحين والصيادين والملاحين والرعاة والخدم وجميع أصحاب الحرف والصناعات الذين يعملون في الخدمات العامة والخاصة (بدوي ومختار، ١٩٧٤،ص٤٧)، وفي عصر الدولة الوسطى (٢١٦٠ – ١٧٨٠ق.م) ق.م نشأت طبقة ثالثة بين الطبقتين القديمتين سميت بالطبقة الوسطى (الحرة) قوامها صغار الموظفين ، وصغار رجال الجيش ، والتجار ، وأصحاب الحرف الممتازة (أرمان ورانكه،١٩٥٩،ص٩٢-٩٣). على الرغم من ذلك نجد هيرودوت يذكر في الفقرة (١٦٤) ان المجتمع المصري يتكون من سبع طبقات وهي (طبقة الكهنة، طبقة المحاربين، ورعاة البقر، ورعاة الخنازير ، والتجار، والمترجمون، والملاحون) ،نجد ان هذا التقسيم الطبقي لا يتفق مع الاوضاع الاجتماعية في مصر القديمة، حتى وان كان الوصف الذي يقدمه هيرودوت هو للنظام الاقطاعي السائد ابان القرن السادس قبل الميلاد (فالبيل،٢٠٠١،ص١٥).

ثانيا: وصفه للآثار مصر وتاريخ ملوكها وبعض عادات الملوك وأسرهم.

يشير هيرودوت انه في الفقرات السابقة التي اوردها كان يصف ما شاهده وفحصه وصدقه ، وما سيرد هو من الاشياء التي سمعها من المصرين ، وتحديدا من الكهنة الذين سردوا عليه تاريخ ملوك مصر واهم اعمالهم بدأ بالملك (مينا) مشيراً الى جسر قام بتشييده لربط ممفيس عبر النهر ، واشار الكهنة له بوجود (٣٣٠) ملكا حكموا بعد مينا من بينهم امرأة واحدة (فقرة ١٠٠)، وهذا العدد الذي ذكره هيرودوت يعد ضرباً من الخيال (الدويب،٢٠٠٣،ص٢٠٠).

كذلك زعم هيرودوت إن عدد الملوك الاثيوبيين الذين حكموا مصر في الاسرة الخامسة والعشرون كان (١٨) ملكا ، ومن المعروف تاريخيا ان عدد ملوك تلك الاسرة كانوا ستة هم بالتعاقب (كشتا ، بعنخي ، شباكو ، شبتاكو ، طهرقة ، وتنتامون) وفترة حكمهم (٧٥٠-٦٥٦ ق.م) (حسن،٢٠١٧،ج١١،ص١٠٥) ، واورد هيرودوت كذلك غريبة مفادها ان الملك (فيروس)*، الذي فقد بصره عقابا له من الآلهة واعيد اليه بعد عشر سنوات بعد أن امروه ان يغسلها ببول امرأة ليست لها علاقة الا بزوجها (الفقرة ١١١)، وهي قصة غريبة اوردها هيرودوت مثل كثير من القصص الغريبة التي حشا بها كتابة (خفاجة،١٩٤٦،ص٢١٩).

وبالعودة إلى سرد هيرودوت التاريخي لمصر القديمة ، يذكر انه جاء بعد الملك (رامبسينيتوس) والذي ربما كان يقصد به رمسيس الثالث ، تولى الحكم الملك خيوبس أو كيوبس والذي يقصد به خوفو ، ومن المعروف ان خوفو هو فرعون مصر الشهير هو ثاني ملوك الاسرة الرابعة ،

وصاحب الهرم الاكبر ، حكم حوالي ٢٦٥٠ ق.م واستمر حكمه نحو ٢٣ عاما (الدويب،٢٠٠٣،ص٢٢٠)، اما رمسيس الثالث فهو من اعظم ملوك الاسرة العشرون في مصر (فخري، ٢٠١٢،ص٣٢٣) . ويحاول بعض المؤرخين ان ينسب ذلك الى خطأ في ترتيب مخطوطة الكتاب الثاني من كتب هيرودوت (خفاجة،١٩٤٦،ص٢٤٩).

ثم يقول إن عصر خوفو جلب الكثير من الشقاء الى المصريين ، ولا نظن ان عصر خوفو كان عصر بؤس ، ولو كان كذلك ، لما قدّر لخلفائه ان ينهضوا بعده بذلك التقدم العمراني الذي نرى آثاره فيما تركوا وترك الناس من حولهم من اثار تدل على الرخاء المادي ، واكبر الظن ان يكون ما سمعه هيرودوت بقية من اثار الدعاية التي قام بها كهان الشمس ، وأثاروا حربها على البيت الحاكم ايام الاسرة الرابعة ، وشواهد ذلك بادية وواضحة في تلك القصص التي نطالعها في القرطاس المعروف باسم (قرطاس فستكار) (بدوي،١٩٥٠،ص٨٨).

وفي الفقرة (١٢٦) يورد هيرودوت ما نصه (ولقد بلغ كيوبس فيما يقولون أحط درجات الرذيلة حتى انه لحاجته الى المال ، وضع ابنته في ماخور وامرها ان تحصل على مبلغ معين لم يذكروا لي مقداره ، وفضلا عن حصولها على ما أمرها به أبوها فإنها فكّرت في ترك أثرٍ خاص بها ، لذلك كانت تطلب الى كل من دخل عليها ان يهدي اليها حجراً . ومن هذه الأحجار– فيما يقال– بني الهرم الذي يقع بين الثلاثة ، وهو امام الهرم الاكبر)(ايفانز،١٩٦٦،ص٢٥).

إن اقل الناس حظا في معرفة اخلاق المصريين وسلوكهم وايمانهم بالقيم الانسانية واعتبارهم الزنا من كبائر الاثم التي يجازي مرتكبها بالموت ،لا يستطيع ان يصدق هذه الفرية (بدوي،١٩٤٦،ص٢١٤)، ولابد انها من رواسب الماضي ، وان اعداء بيت خوفو من اصحاب المذهب الشمسي هم اصحاب هذه الفرية ، يضاف الى ذلك الخلاف الذي يحتمل ان يكون قد وقع بين ابنائه من بعده ، وكانوا من امهات مختلفات ومنهن تلك الليبية الشقراء ذات العينين الزرقاوين ، واعني (حتب حرس) زوجته الثانية التي يعتقد بعض المؤرخين انها ام ولده الذي يحتمل ان يكون قد خلفه على العرش وهو (رع– درف)، ذلك الذي بنى هرمه في منطقة أبي رواش (عبدالحليم،١٩٧٧،ص٣٢٦) ، لسنا نستبعد ان يكون لكل ما ذكرناه اثر في اختلاق هذه الفرية(خفاجة،١٩٤٦،ص٢٥٤).

وربما ابتدع هيرودوت تلك القصة من وحي خيالة ، اذ لا يمكن تصديقها لما يوجد فيها من تجاوز كبير ومسيء للحضارة المصرية ، فهل يعقل ان مصر القديمة التي استطاعت بناء مئات

الشواهد الاثارية مستخدمة فيها عشرات الاطنان من الحجارة الثقيلة ، لا تتمكن من اقامة هرم صغير، وهل من المعقول ان الملك خوفو الذي استخدم ما يقارب (٢ مليون و ٣٠٠ الف حجر) في بناء الهرم الاكبر ، يدع ابنته تمارس الدعارة لتشييد هرم صغير، فاين ذهب حياءك وقدسيتك يا هيرودوت التي تدعيها لتورد هذه القصة المشينة .

وبالعودة إلى سرد هيرودوت التاريخي لتسلسل ملوك مصر القديمة نقلا – كما يدعي– عن الكهنة ، نراه في الفقرات (١٢٩–١٣٢–١٣٤) يسرد اسماء ملوك مصر ليس وفق التسلسل التاريخي ، فهو ذكر ملوك الدولة الوسطى او الحديثة اولا ثم بعض ملوك الدولة القديمة (خوفو – خفرع – منقرع) ، وهذا سببه ان الكهنة الذين كانوا يتلون عليه قصص اولئك الملوك من اوراق البردي لم تكن تلك البرديات مرتبة بشكل صحيح ، والغريب انه على الرغم من زيارة هيرودوت لمنطقة الاهرامات الا انه لم يشر الى ابو الهول الذي يبدوا انه كان مردوما آنذاك(الدويب،٢٠٠٣،ص٢٣٠)، وذكر هيرودوت ان المصريين لا ينسبون اهرامات الجيزة إلى الملكين خوفو ومنكورع بل إلى راعي يدعى فيليتيوس (خفاجة،١٩٤٦،ص٢٥٧)، فهل كل من لازم الاهرامات ورعى غنمه قربها تملكها.

يورد هيرودوت قصة ابنة الملك منقرع أو منكاورع التي أحبها والدها كثيرا وبعد انتحارها دفنها ابوها داخل تمثال بقرة خشبية وضعه في مدينة سايس كان يقدم القرابين اليه يوميا (الفقرات ١٢٩–١٣٢)(الدويب،٢٠٠٣،ص٢٣٥)، ان الجبانة التي كان ينبغي ان تدفن فيها ابنة منكاورع – إن صح ان ينظر الى مثل هذه القصة– قد كانت جبانة الجيزة ، حيث مدافن الاسرة الرابعة (امري،٢٠٠٠،ص٩٧)، ولم يكن من داع مطلقا لنقلها الى سايس، وليس من المعقول ان نتصور ان الاجيال قد احتفظت بتابوت ابنة منكاورع حتى أيام هيرودوت ، وليس من المعقول كذلك ان يوضع تابوتها في القصر الملكي ليحرق فوقه البخور ، وتضاء من حوله المصابيح (خفاجة،١٩٤٦،ص٢٦٤)، ثم يرجع هيرودوت الى التخبط في التسلسل التاريخي لملوك مصر فيقول ان الملك الذي خلف منكاورع هو اسوخيس، ومن المعروف إن الذي خلف منكاورع هو الملك شبسكاف وله قبر قائم عرف في الكتب التاريخية باسم مصطبة فرعون (شيندروف وسيل،١٩٩٠،ص ٢١)، وقد يكون الذي عناه هيرودوت هو شيشنق الأول وما يؤيد ذلك من ان ما نسب اليه هيرودوت من العمائر الضخمة في معبد بتاح ، يتلاءم مع عرف عن شيشنق الأول من تشييده لأبنية كثيرة في تلك المنطقة(مهران،١٩٨٤،ص٢٧٤).

وفي الفقرة (١٤١) يورد هيرودوت قصة حملة الملك الاشوري سنحاريب على سوريا وفلسطين وتوجهه نحو مصر ويعزوا سبب تراجع سنحاريب عن غزوه لمصر الى قصة خرافية مفادها، ان الجرذان انقضت على معسكر الاشوريين ليلا كالليل الجارف، وقرضت جعبهم واقواسهم وحمائل دروعهم ايضاً فاصبحوا عزّلا من السلاح وانسحب الجيش الاشوري ، ومن الموثق تاريخيا إن سبب انسحاب سنحاريب من حملته تلك هو اندلاع الثورة في بلاد بابل بقيادة (مردوخ – بلادان) (الشمري، ١٩٨٦،ص٨٥).

ومن الفقرة (١٤٢) يبدأ هيرودوت الحديث عن تاريخ مصر اعتمادا على ما كتبه غير المصريين، ولم يحدد من هم ، وقد يكون من بينهم المؤرخ هيكاتيوس من ميليتوس (٥٥٠-٤٧٦ق.م) الذي زار مصر قبل هيرودوت ومن اوائل المؤرخين الاغريق(كريم،١٩٩٦،ص٩)، وتعود إلى هيكاتيوس أو الملطي المقولة المشهورة (مصر هبة النيل) التي قلنا من قبل ان هيرودوت اخذها عنه دون ان يذكر انها تعود اليه ، ومن الظاهر في كتابات هيرودوت انه شديد الكره لسلفه هذا ، كثير الطعن فيه ، شديد الميل الى تسفيه آرائه(خفاجة،١٩٤٦،ص٢٧٤).

المبحث الثاني

اخطاء هيرودوت في كتاباته عن مصر، اسبابها ودوافعها

إن تراث هيرودوت ، قد ظَّل دهرا موضع جدل كبير، شغل النقاد من القدماء والمحدثين ، فتجادلوا في الغرض منه وتساءلوا ، أأراد به صاحبه ان يكون مدونة لتاريخ من عرف من شعوب الدنيا ، أم قصد به ان يكون سجلا لبعض الحوادث والاوصاف العامة التي رأى انها ترضي حاجة المشغوفين من قومه بالمعرفة ، ثم ان المؤرخين والنقاد نظروا في كتاب هيرودوت هذا ويختلفون في طريقة نقده والحكم على الاخطاء التي وردت فيه ويجمعون على الشك فيما روئ ، وهذا النقد والتشكيك في روايات واخطاء هيرودوت ارجعه البعض الى اسباب ودوافع ، فقسما من المؤرخين اوجد العذر لهيرودوت وأوجد له اسباب ادت الى تلك الاخطاء في كتاباته ، اما القسم الاخر من هؤلاء النقاد والمؤرخين فرى فيها دوافع تقف وراء تلك الاخطاء ، وسنحاول في هذا المبحث بيان تلك الاسباب والدوافع .

اولاً : الأسباب .

١– زعم هيرودوت **انه اعتمد في اخذ اخباره عن مصر من كبار كهنة مصر في معبد مبفتاح ، فقد كانت مقدسات المصريين اسرار لا يعرفها الا الكهان وخاصة الخاصة منهم ، ومع ذلك مكنت الظروف هيرودوت –كما يزعم– من رؤية الحيوانات المقدسة والعناية بها في الاماكن التي كانت مخصصة لها عند دور العبادة(خفاجة،١٩٤٦،ص٢٣) .**

وهنا نرجع أخطاء هيرودوت الى سببين : **اولهما ان هيرودوت قد خُدع فيما سمع من التراجمة الذين اعتمد عليهم كواسطة بين الكهنة وبينه وهذا ايضا فيه رأي فلا يعقل إن يتواجد تراجمة في كل الأماكن التي زارها هيرودوت على قلتهم في مصر، أو قد يكون احوال البلاد وبغض اهلها للأجانب ومنهم الاغريق دفعت الكهنة الى ان يكونوا من الساخطين على الاجانب ولذلك لم يلقنوا هيرودوت بما لديهم ، فليس من السهل ان نتصور ان كهنة البلاد الذين اسماهم هيرودوت الثقات ، قد اعطوه تلك الصورة الممسوخة المشوهة من تقاليدهم الدينية أو من تاريخ اسلافهم ، كما لا يمكن الظن مطلقا ان المصريين نسوا ذلك مهما تقادم العهد عليه، وثاني اسباب اخطاء هيرودوت في نقله عن الكهنة هو ان يكون قد اتصل باقلهم معرفة وادناهم طبقة ، فأعطوه من صور البلاد المشوهة ، ما جعل كتابه محشوا بالأخطاء .**

٢– اعتماده على التراجمة : **على الرغم من ان هيرودوت لم يشر إلى التراجمة إلا قليلا ، لكن عدم معرفة هيرودوت بلغة المصريين وكذلك عدم معرفة عامة المصريين بلغة الاغريق الا قلة نادرة لن يلقاها هيرودوت في كل مكان زاره ، لذا فلم يكن هناك من سبيل الى ادارة الحديث بين هيرودوت وبين من زعم انه لقيهم من كهّان البلاد الا بين يدي ترجمان(خفاجة،١٩٤٦،ص٢٨) ، واما الاغريق الذين لا شك في انه قد استعان بهم ، فما اقل ما اشار اليهم ، الا ان يكون ذلك للتقليل من قيمة من سبقوه منهم الى زيارة مصر وبخاصة هيكاتيه الملطي ، وذلك امر قد يثير الشك في قصده وبغض من امانته ، على الرغم من زعم هيرودوت ان بسماتيك قد عهد الى الجالية الاغريقية في مصر بتعليم بعض الصبية الوطنيين اللسان الاغريقي ، ومن هؤلاء انحدرت طبقة التراجمة الذين اعتمد عليهم ، على ان عددهم مهما كثر لا يمكن ان ينتشروا في سائر الاقاليم واغلبهم سكن الدلتا، لذلك قد يكون التراجمة هؤلاء قد خدعوا هيرودوت ، حيث صدق ما سمعه منهم عن تلك الاساطير والخرافات عن تاريخ مصر القديمة .**

٣– إدعاء هيرودوت **بانه زارَ مصر من شمالها الى جنوبها من الدلتا الى اقصى حدود مصر الجنوبية من وراء اسوان ، في حين يرى النقاد ان هيرودوت لم تتعدى اقامته اكثر من اربعة**

اشهر لذلك لم يزر سوى ارض الدلتا وواحة الفيوم ، ومن هؤلاء النقاد (هدل ابد) ، فكيف له مما زعم انه لقى في سفره هذا كثير من اهل البلاد فتحدث معهم وسمع منهم ، وتلك مسألة فيها نظر؟ فهيرودوت _كما اسلفنا– لم يكن يعرف لغتهم، لذلك اغلب الظن ان هيرودوت استقى معلوماته من الاغريق الذين كانوا يقيمون في مصر واعتمد جل اعتماده في وصف مشاهد ومعالم مصر واثارها العمرانية ونقل اخبارها التاريخية ، قد كان في الاغلب الاعم على النزلاء من بني قومه ، وهم اناس مهما طال مكثهم في مصر ، ومهما ازدادت معارفهم عنها لم يكن من بمقدورهم او بوسعهم ان يبلغوا بثقافتهم تلك فهم الحياة المصرية الطويلة العريقة ، ولا فهم العقائد المصرية واصولها العميقة المليئة بالأسرار ، ولا فهم روح الانسان المصري الذي ادخر من تراث الماضي وودائعه ومن اخبار وتقاليد وتجارب اهله وعبره وعظاته واسراره ، ما يضيق به وعي الغريب مهما اتسع ادراكه وعظم حظه من العلم والثقافة (الدويب،٢٠٠٣،ص٣٠).

٤– إن تأثر هيرودوت **بثقافة قومه الاغريق واساطيرهم وبشعر الملاحم (ملاحم الابطال) الذي شاع بين القرنين ١٣–١٤ ق.م وتأثره بفن القصص المنثور الذي حل محل القصص المنظوم في بلاد اليونان في القرنين (٨–٧ ق.م) وتأثره بمذهب السوفسطائيين التي عمت بلاد اليونان في القرن (٥ ق.م) قد انعكس في اسلوبه في كتابة التاريخ ، وانه كان يفكر فيما يرى ويسمع بعقل اغريقي ، ثم ينسج في رواياته على منوال اغريقي ، ويدس بين طياته نسيجه ما كان قد وقع عليه كتب من تقدموه من اسلافه الاغريق وفي مقدمتهم هيكاتيه الملطي ، ثم يعود في جرأة جريئة فينسب اكثر ما روى الى رواته الثقات من كهان مصر(خفاجة،١٩٤٦،ص٣٧).**

٥– لقد الف هيرودوت **تاريخه عن مصر من وحي مشاهداته وما سمعه خلال رحلته ، فدون ذلك مؤيدا برايه الخاص احيانا ، وفي هذا يقول (يجب علي ان اقص كما قيلت لي ولست مجبرا على تصديقها)(لبيب،١٩٤٧،ص٧١).**

٦– ان كثير من الاسماء **التي ذكرها هيرودوت وفقا للتهجئة الاغريقية التي سمعها من الكهنة وغيرهم كما يزعم ، ولهذا جاءت غير مطابقة ومحرفة عن الاسماء الاصلية ، كما نه لجأ الى اسماء الالهة الاغريقية وطلق بعضها على ما يناظرها من الالهة في الديانة المصرية القديمة (الدويب،٢٠٠٣،ص٢٨٥).**

ثانيا : الدوافع.

١- ان كتاب هيرودوت في جملته ووحدته انما يدور حول محور واحد ، وهو تاريخ الحروب والوقائع التي جرت بين قومه الاغريق الاوربيين وبين اعدائهم من الفرس الاسيويين .

٢- قوم هيرودوت في نظره ابطال امجاد نبلاء ، استطاعوا على قلة عددهم وبفضل شجاعتهم ونبل مشاعرهم وحميد سلوكهم وتأييد أربابهم إن ينجّوا بأوطانهم من هوان الاستعباد ومذلة الرق.

٣- لهذا كتاب هيرودوت لم يوضع عفوا ولا ارتجالا ، وانما فيه مقصد واضح جعل له وحدة ظاهرية ، هي انه اورد قومه الاغريق اعمق وأعذب معين يرتشفون منه ما يروي غلتهم من مختلف الوان المعرفة التي ترضيهم من وصف اوطان الارض ، وخصائص الشعوب التي تسكنها برغم ما فيه من تلك الصور التي حشاها بين صفحاته من ملاحم الابطال ، والاستطراد في سرد الحوادث ثم من تلك الاوصاف الجغرافية والصور القصصية التاريخية (خفاجة،١٩٤٦،ص١٧).

٤- كان كتاب هيرودوت تذكرة لقومة ، واغراء لهم بالتطلع الى مصر الغني المترف ، وكذلك بحكم وقوعها تحت الحكم الفارسي العدو السياسي الاوحد لبلاد اليونان.

٥- محاولته تشويه الحكم الفارسي لمصر وذلك من خلال ايراده لروايات لم تثبت صحتها ، منها ما اورده بخصوص الملك الفارسي قمبيز وقيامه بالإساءة للمعتقدات الدينية لمصر القديمة (السمار،٢٠١٦،ص٥٣٥).

الهوامش.

* الفريجيون: أقوام سكنوا آسيا الصغرى منذ عصور قديمة وكانت ديارهم في المناطق الوسطى منها. ينظر: نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي ، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص١٣٨.

* بسماتيك : مؤسس الاسرة السادسة والعشرون في سايس بعد طرد الاحباش بمساعدة الجنود المرتزقة من الأيونيين والكاريين سنة ٤٦٦ ق.م ، للمزيد ينظر: عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٤، ص ٤٣٢.

* سامو ثراقيا : هم سكان جزيرة صغيرة تقع على ساحل تركيا. ينظر: محمد صقر خفاجة ، هيرودوت يتحدث عن مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٦، ص ١٥٥.

* فيروس: وتعني هنا فرعون، وربما يطابق الملك مرنبتاح، ينظر: احمد بدوي، في موكب الشمس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مطبعة لجنة التأليف والنشر والطباعة، ج٢، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٨٣٨.

الخاتمة الاستنتاجات .

١- عند قراءة كتاب هيرودوت عن مصر من الضروري عدم تصديق كل ما جاء فيه ، واخضاعه الى مبدا التشكيك والنقد والتمحيص ، لان بعض ما اورده كان عبارة عن حكايات غريبة ، تدخل في نطاق الفانتازيا التاريخية .

٢- بطلان ادعاءه من ان رواته كانوا من الثقات ، اذ ان الادلة تشير الى العكس من ذلك ، بل الاقرب الى الصحة انهم كانوا من صغار الكهنة والعبيد العاملين في المعابد ، وكذلك اعتماده على الاساطير الشعبية المتداولة .

٣- ان جهل هيرودوت باللغة المصرية دفعه إلى الاعتماد على التراجمة الذين كانوا اغلبهم من الاغريق والذين بدورهم كانوا متأثرين بثقافة الاغريق واساطيرهم .

٤- ان تأثر هيرودوت نفسه بثقافة الاغريق واساطيرهم ، دفعه الى الكتابة بفكر اغريقي ونسج رواياته على منوالهم ، ثم يدس بين طيات كتابه نسيج أسلافه مثل (هيكاتيه الملطي) ، لذلك نجد ان كثير من الاسماء المصرية ذكرها هيرودوت وفقا للتهجئة الاغريقية ، ولهذا جاءت غير مطابقة ومحرفة عن الاسماء الاصلية ، كما انه لجأ الى اسماء الالهة الاغريقية واطلق بعضها على ما يناظرها في من الالهة المصرية القديمة .

٥- ان من يقرأ كتاب هيرودوت لابد له من استنتاج ان هذا الكتاب مجمله هو تدوين لتاريخ الحروب بين الاغريق والفرس ، اي ان غايته سياسية تدفعها حالة التنافس بين ابناء جلدته من الاغريق الاوربيين واعدائهم من الفرس الآسيويين ، وهو الامر الواضح في روايات هيرودوت من خلال محاولته رفع اخلاق الاغريق في مقابل الحط من اخلاق الفرس وتشويه سمعتهم .

٦- وفي الختام ومن خلال مراجعتنا لكتاب هيرودوت الثاني الذي تحدث فيه عن مصر، نستطيع الخروج بحقيقة واضحة عنه، وهي ان الشطر الاول من الكتاب – والذي ينتهي عند مطلع العصر الصاوي يكاد يخلو تماما من القيمة التاريخية ، وان الشطر الثاني من الكتاب الذي

افتتحه بعصر بسماتيك قد ظاهره فيه التوفيق ، وذلك لان رواته كانوا من الاغريق الذين يعرفون فترة حكم ذلك الملك الذي احتضنهم واكرمهم واشركهم في كثير من شؤون الدولة .

List of sources and references.

1- A.G.Evans, Herodotus, translated by: Amin Salama, revised by: Kamal AlMallah, Alexandria University, 2000 AD.

2- Ahmed Badawy, In the Parade of the Sun, Hindawi Foundation for Education and Culture, Committee for Authoring, Publishing, and Printing, Part 1, Cairo, 1946.

3-_____, In the Parade of the Sun, Hindawi Foundation for Education and Culture, Committee for Authoring, Publishing, and Printing, Part 2, Cairo, 1950.

4-_____ and Mohamed Gamal El-Din, Mukhtar History of Education in Egypt, The Egyptian General Book Organization, Part One, Cairo, 1974.

5- Ahmed Hamid, The Fallacies of Herodotus, The Seventh Day Magazine, 2009.

6- Ahmed Fakhry, Pharaonic Egypt (History of Egypt from the earliest times until the year 332 BC), the Egyptian General Book Organization, Cairo -2012.

7- Adolf Armand and Hermann Ranke, Egypt and Egyptian Life in Antiquity, translation and review: Abdel Moneim Abu Bakr and Muharram Kamal, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1959.

8- Alan Shorter, Daily Life in Ancient Egypt, translated by: Naguib Michael Ibrahim, The Egyptian General Book Organization, 1997.

9- Bajoor Labib, Glimpses of Egyptian Studies, Al-Muqtataf Press for Publishing and Distribution, Cairo, 1947.

10-Pierre Montet, Daily Life in Ancient Egypt, translated by: Aziz Morcos Mansour, Al-Usra Library, Cairo, 1997.

11- George Schendorff, Keith Sale, When Egypt Ruled the East, translated by: Muhammad Al-Azab Musa, Madbouly Bookshop, Cairo, 1990.

12- Dominique Valbelle, People and Life in Ancient Egypt, pp.: Maher Jouejati, review: Zakia Tabouzadeh, 2nd Edition, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, Cairo, 2001.

13- Sayed Karim, The Mystery of the Pharaonic Civilization, The Egyptian General Book Organization, Cairo, 1996.

14- Saad Abboud Al-Sammar, The Impact of Religious Mythology on the Expansionist Policy of the Achaemenid State (559-330 B.C.), Journal of Ancient Near East Civilizations, No. 2, 2016

15-Talib Munim Habib Al-Shammari, Sennacherib, his biography and achievements (704-681 BC), unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1986.

16- Abdel Aziz Saleh, The Ancient Near East (Egypt and Iraq), The Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 2004.

17- Muhammad al-Mabrouk al-Duwaib, Description of Egypt, a modern translation of Herodotus' book on Egypt, Misurata University, Libya, 2003 .

18- Muhammad Bayoumi Mahran, History of the Ancient Near East (Egyptian Civilization), Alexandria University, 1984.

19- Muhammad Saqr Khafajah, Herodotus talks about Egypt, Dar Al-Maarif, Cairo, 1946.

20- Nabila Abdel Halim, Ancient Egypt - Its History and Civilization, The Egyptian General Book Organization, Cairo, 1977.

21- Nicholas Postgate, Civilization and Antiquities of Iraq, Translated by: Samir Abdul Rahim Al Chalabi, Dar Al Mamoon for Translation and Publishing, Baghdad, 1991.

22-Walter B. Emery, Egypt in the Ancient Era, translated by: Rashed Mohamed Neuer, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2000.

23- Wahib Kamel, Herodotus in Egypt, Dar Al-Ilm, Cairo, 1966.